

الحلقة الخامسة

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل عدة حلقات بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلما أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

وفي اللقاء الماضي بدأنا بدراسة الدرس الأول من دروس الحكمة والذي هو حكمة للشباب. وتأمّلنا بالقسم الأول منه، والذي كان عنوانه تجنّب أصدقاء السوء. وتبين لنا خطورة انجرار الشاب وراء تملق أصدقاء السوء، ونتائجه الوخيمة على مستقبله وحياته.

أما اليوم فسننتقل إلى القسم الثاني من الدرس الأول، وهو بعنوان: عدم المبالاة بنداء الحكمة. هل تعلم يا صديقي أن سمة العصر الذي نعيش فيه هي عدم المبالاة؟ فعندما يوجّه إنسان ما، رسالة أخلاقية إلى الناس الآخرين، نادراً ما يجد تجاوباً منهم. والسبب غالباً ما يكون هو عدم المبالاة.

كانت رسالة الحكمة في العهد القديم تتمثل بشريعة الله، ورسالة الأنبياء، والحكماء، الذين كانوا يدعون الناس إلى تطبيق وصايا الله، وتجنّب الإثم، والسلوك في طريق العدل والحق والاستقامة، وعدم السير في طرق الفساد والشر. وهي نفس الرسالة التي أراد إعلانها سفر الأمثال. لكن رسالة الحكمة في العهد الجديد أي بعد مجيء المخلص يسوع المسيح، هي بشارة الخلاص المفرحة. أن المخلص المسيح قد أتى، وأتم عمل الفداء بموته الكفاري على الصليب. وهو يحرر كل من يؤمن به، من عبودية الخطية وإبليس، ويهبه الحياة الروحية الجديدة، والخلود.

هذه هي بشارة الإنجيل، والتي تعني الأخبار السارة، التي يُنادى بها اليوم في كل مكان في العالم. إن كان بواسطة أمواج الراديو عبر الأثير، أو عن طريق البث التلفزيوني، أو من خلال كلمة الله الحيّة التي توزّع. لكن ما هو موقف غالبية الناس تجاه هذه البشارة المفرحة؟ أجابنا سليمان الحكيم عن هذا السؤال قائلاً: "الحكمة تنادي في الخارج. في الشوارع تعطي صوتها. تدعو

في رؤوس الأسواق في مداخل الأبواب. في المدينة تبدي كلامها قائلة: إلى متى أيها الجهال تحبون الجهل والمستهزئون يُسرون بالاستهزاء والحمقى يبغضون العلم. ارجعوا عند توبيخي. هأنذا أفيض لكم روعي. أعلمكم كلماتي." (أمثال ٢٠: ٢٣-٢٣)

أجل، ما هو موقف غالبية الناس تجاه بشارة الإنجيل المفرحة؟ إنه مع الأسف، نفس الموقف الذي أتخذه معظم الناس تجاه نداء الحكمة في أيام سليمان الحكيم. أي موقف عدم المبالاة، وعدم الاكتراث برسالة الخلاص هذه، وعدم الرغبة بالإصغاء. لقد قسم سليمان الحكيم البشر في موقفهم الراض هذا إلى ثلاثة أنواع وهم: الجهال، المستهزئون، الحمقى.

فالجهال هم الذين كما ذكرنا في لقاء سابق يتشبثون بأفكارهم، ولا يريدون الاستماع لأي شيء جديد، ولهذا قال عنهم سليمان الحكيم أنهم يحبون الجهل. والمستهزئون هم الناس الذين يسخرون من نداء الحكمة أو بشارة الخلاص المعروضة أمامهم. فهي بالنسبة لهم ليست أمراً يمس حياتهم أو يؤثر على مستقبلها، ولهذا يسرون بالاستهزاء. أما الحمقى فهم الناس الذين يبغضون العلم، أو رسالة الخلاص، ولا يريدون البحث فيها.

لهذا تدعو الحكمة أو رسالة الخلاص هؤلاء الناس جميعاً، لكي يرجعوا أي يتوبوا، حتى يفيض عليهم الله بروحه، ويعلمهم كلماته. لكن هل استجاب هؤلاء الناس لهذه الدعوة الصادقة؟ يبدو من الأعداد التالية أنهم استمروا في عنادهم، لهذا حذرهم الله من الدينونة القادمة عليهم.

كتب سليمان الحكيم قائلاً: "لأني دعوت فأبئتم، ومددت يدي وليس من يبالي، بل رفضتم مشورتي ولم ترضوا توبيخي. فأنا أيضاً أضحك عند بلييتكم. أشمت عند مجيء خوفكم. إذا جاء خوفكم كعاصفة وأتت بلييتكم كالزوبعة إذا جاءت عليكم شدة وضيق. حينئذ يدعونني فلا أستجيب. يبكرون إليّ فلا يجدونني. لأنهم أبغضوا العلم ولم يختاروا مخافة الرب. لم يرضوا مشورتي. رذلوا كل توبيخي. فلذلك يأكلون من ثمر طريقهم ويشبعون من مؤامراتهم. لأن ارتداد الحمقى يقتلهم وراحة الجهال تُبيدهم." (أمثال ٢٤: ٣٢-٣٢)

لقد حذرت هذه الآيات في سفر الأمثال الإنسان من النهاية الوخيمة، لرفض نداء الحكمة وعدم التوبة عن طريق الشر. وكشفت في نفس الوقت عن رد فعل الله عند وقوع الكارثة على هؤلاء الأشرار. فأوضحت أن الله لن يأتي لنجدتهم، بل على العكس سيستهزئ بهم، ويشمت بمصيبتهم. والسبب لأنهم سيحصدون نتائج عملهم، ومؤامراتهم ترتد عليهم. إن حمقهم قتلهم، وراحة

جهلهم كانت هي العامل لإبادتهم. والحقيقة أن هذا ما كشفته لنا أيضاً كلمة الله كما جاءت في العهد الجديد من الكتاب المقدس. إذ حذر المخلص المسيح سامعيه من نتائج عدم التوبة ومن دينونة الله.

قال المخلص المسيح مرّة: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون." (بشارة يوحنا: ٥: ٢٤ و ٢٥) إذن إن كل من يسمع كلام المخلص المسيح ويؤمن به، ويتوب عن خطاياها، سينتقل من الموت إلى الحياة، أي سيأخذ حياة جديدة وتُغفر خطاياها. وليس هذا فحسب بل لن يأتي إلى دينونة، أي لن تقع عليه دينونة الله وعقابه الأبدي، والسبب لأنه آمن بالمخلص المسيح، وأصبح من أولاد الله.

وهو ما كشفه أيضاً ذلك المقطع في سفر الأمثال، إذ ختم بهذه الآية الجميلة: "أما المستمع لي فيسكن آمناً ويستريح من خوف الشر." (أمثال ١: ٣٣) حتى في العهد القديم، كانت بركة الله تأتي على الإنسان عندما يتوب، وهكذا يسكن آمناً، وينجو بالتالي من دينونة الله. صحيح أن فرصة التوبة ستكون ممنوحة للإنسان طيلة أيام حياته، أو إلى أن يجيء المخلص المسيح في مجيئه الثاني الباهر العظيم، لكن لا أحد منا يعلم متى ستأتيه ساعة الموت. وأيضاً إن تأجيل التوبة سيقسّي قلب الإنسان، وقد يجد نفسه غير قادر على التوبة في المستقبل.

فما هو رد فعلك مستمعي الكريم إزاء بشارة الخلاص المفرحة المقدمة لك اليوم؟ ومن أي فئة من الناس أنت؟ أرجوك أن تأتي إلى الله تائباً ومؤمناً بالمخلص المسيح، وعندها ستنال الغفران عن خطاياك وتصبح من أولاد الله، وليس هذا فحسب بل تتمتع بالسلام القلبي الأكيد.